مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
Harmoon Center
For Contemporary Studies

إثارة خيال العدالة: مواجهة عمليات إخفاء ومحو سرديات العدالة للضحايا السوريين

ترجمة: أحمد عيشة

ترجمات

مركز حرمون للدراسات المعاصرة:

هو مؤسّسة بحثية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والمجتمعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري خاصة، والصراع الدائر في سورية وسيناريوهات تطوره، وتهتم بتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي. كما تهتم أيضًا بالقضايا العربية، والصراعات المتعلقة بها، وبالعلاقات العربية الإقليمية والدولية.

يُنفذ المركز مشاريع ونشاطات، ويُطلق مبادرات من أجل بناء مستقبل سورية، على أسس وقيم الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان وقيم المواطنة المتساوية، ويسعى لأن يكون ميدانًا للحوار البنّاء، وساحة لتلاقي الأفكار.

قسم الدراسات:

يُقدِّم هذا القسم الدراسات العلمية والموضوعية التي تناقش القضايا السورية الأساسية، وتعالج المشكلات الرئيسة، وتقترح الحلول والبدائل المناسبة، وهو مسؤول عن إنتاج المواد البحثيّة العلمية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والثقافية والتربوية، التي تستند إلى جهدٍ بحثيّ أصيل ورصين يتوافق مع أصول العمل البحثيّ العلمي.

يحرص قسم الدراسات على تقديم قراءات للواقع الراهن، ويضع على جدول أعماله إنتاج دراسات من الفئات البحثية كافة، بهدف إعادة بناء المنظومة الفكرية والسياسية والقانونية والثقافية والتربوية في سورية المستقبل، ويستكشف التأثيرات المتبادلة بين السياسة والاقتصاد والقانون والمجتمع والفكر، ويبحث في تأثيرات الحرب السورية وسبل تجاوزها في المستقبل في نظام ديمقراطي تعددي تداولي.

إثارة خيال العدالة: مواجهة عمليات إخفاء ومحو سرديات العدالة للضحايا السوريين

الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز وموقفه من القضايا المطروحة

اسم الدراسة الأصلي	Stirring the Justice Imagination: Countering the Invisibilization and Erasure of Syrian Victims' Justice Narratives
الكاتب	بريجيت هيرمانس وتاين ديستروبر، Tine Destrooper & Brigitte Herremans
مكان النشر وتاريخه	المجلة الدولية للعدالة الانتقالية، The International Journal of Transitional Justice، آب/ أغسطس 2021
الرابط	https://bit.ly/3ycVzZV
عدد الكلمات	10089
ترجمة	وحدة الترجمة/ أحمد عيشة

المحتويات

ملخص 3

مقدمة 4

تخيّل إمكانية التغيير 6

نماذج الإغفالات 8

المحو/ الإبادة 9

الإخفاء 11

مقاومة المحو والإخفاء 21

تحريك خيال العدالة عند السوريين 14

مناقشة العدالة المجهضة 15

طرق العدالة الرسمية المتاحة 17

ما يُحذَف من سرديات العدالة 21

حقائق غير مرئية 25

مقاومة المحو والإخفاء: دور الممارسات الفنية 27

الخاتمة 30

ملخص

مع إغلاق معظم السّبل أمام تحقيق العدالة للضحايا السوريين الذين تعرضوا لجرائم دولية وسدّها، تسعى الجهات الفاعلة السورية والدولية في مجال العدالة، داخل المجتمع المدني والمؤسسات الرسمية، لاستكشاف طرقٍ تؤدي إلى شكل من أشكال العدالة والمساءلة. وعند القيام بذلك، يستخدم كثير منهم لغة العدالة الانتقالية، بكونها النموذج الواعد للحفاظ على العدالة على جدول الأعمال الدولي، ولمقاومة الانهزامية السائدة حول إمكانية تعزيز العدالة في غياب المرحلة الانتقالية، وكذلك لتصحيح تهميش تجارب الضحايا وسرديتاهم. لا يقتصر اهتمام كثير من هؤلاء الفاعلين على المساءلة الجنائية فحسب، بل يسعون إلى توسيع نطاق التخيّل من منظور العدالة، إلى ما وراء الآليات القائمة وخارج المجال القضائي. ويسعون جاهدين لإفساح المجال أمام خيال العدالة. بالمعنى الأقصى: إنهم يبحثون عن سرديات عدالة أكثر طموحًا، يمكن أن تستوعب التجارب التي يعيشها الضحايا. وبالمعنى البسيط: هم يقاومون عمليات محو أو إخفاء تجارب ملايين السوريين المتأثرين بسرديات العدالة المتداولة. تشير هذه الدراسة إلى عمل هؤلاء الفاعلين في مجال العدالة، لكشف بعض أوجه القصور في خطابات العدالة الانتقالية السائدة.

مقدمة

تستكشف هذه الدراسة العلاقة ذات الاتجاهين، بين سرديّات العدالة وخيال العدالة. ويطبّق هذا الاستكشاف المفاهيمي على عمل الفاعلين السوريين والدوليين في مجال العدالة، أي أصحاب المصلحة في مجال المجتمع المدني وفي المؤسسات الرسمية التي تشارك بنشاط في السعي لتحقيق العدالة للسوريين. ينبع تركيزنا على السرديات من الاهتمام المتزايد بالوظيفة التعبيرية لعمليات العدالة [1]. أصبح من المقبول على نطاق واسع أن عمليات العدالة لا تقف عند غرض معاقبة الجناة فحسب، بل ترسل أيضًا رسائل حول ما يُعدّ جريمة، ومن خلال التوسع في ذلك، نستطيع أن نميز المظالم المقبولة من غير المقبولة. يرتبط هذا بمفهوم خيال العدالة، أي ما نعتقد أن تحقيقه ممكنٌ باستخدام أنواع مختلفة من عمليات العدالة ومبادراتها، وبكيفية توسيع حدود ما يمكن تصوّره، من حيث العدالة والمساءلة، إلى ما وراء الآليات الحالية، أو إلى ما يتجاوز المجال القضائي [2].

نبدأ من الموقف المعياري القائل بأن سرديات العدالة يجب أن تسعى لاستيعاب الحقائق المعقدة والمتقلبة والمتعددة الطبقات لضحايا الظلم. بناءً على جهود الجهات الفاعلة في مجال العدالة، نجادل بأن سرديات العدالة يجب أن تسعى -على الأقلّ- إلى تجنب محو وإخفاء وقائع الضحايا، لأن هذا يؤدي إلى تفاقم الظلم الأساسي الذي يعانيه الضحايا، ويعوق وصولهم إلى نظام العدالة. ومع ذلك، يمكن أن تخدم سرديات العدالة أيضًا هدفًا أكثر طموحًا، يتمثل في إفساح المجال لخيال العدالة من خلال إظهار احتياجات الضحايا وحقوقهم وتوقعاتهم.

توضح الحالة السورية أن بإمكان سرديات العدالة أن تحدّ من خيال العدالة أو أن تُوسّعه. في مواجهة الجمود السياسي الدولي الذي أغلق معظم السبل الرسمية للسعي إلى المساءلة عن الجرائم الفظيعة [3]،

---

(1) - Carsten Stahn, Justice as Message: Expressivist Foundations of International Criminal Justice (Oxford: Oxford University Press, 2020) ; Birju Kotecha, 'The Art of Rhetoric: Perceptions of the International Criminal Court and Legalism,' Leiden Journal of International Law 31(3) (2018): 939–962; Tim Meijers and Marlies Glasius, 'Trials as Messages of Justice: What Should Be Expected of International Criminal Courts?' Ethics and International Affairs 30(4) (2016): 429–447.

(2) - نحن نبني على فكرة ليندسي ستونبريدج عن الخيال القضائي، التي تتفحص وعود العدالة وطرق التغلب على حدود الاستدلال القانوني.
Lyndsey Stonebridge, The Judicial Imagination: Writing after Nuremberg (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2011), 4.
بناءً على هذه الفكرة كنقطة انطلاق لتحليلنا حول جهود العدالة في قضية مناهضة لنموذج العدالة الانتقالية القضائي، قمنا بتكييفها مع «خيال العدالة"، يختلف هذا بشكل جوهري عن "خيالية العدالة الانتقالية"، وجهة النظر الأكثر مثالية حول العدالة الانتقالية التي وصفها ألكسندر هينتون في: مظهر العدالة: محاكمات الانتقال في كمبوديا
The Justice Façade: Trials of Transition in Cambodia (Oxford: Oxford University Press ، 2018).
بسبب المنظور المتضائل للانتقال. الصورة هنا هي صورة قطرة، وليست شلالًا للعدالة، حيث يحاول الفاعلون في مجال العدالة إحداث صدع في جدار الإفلات من العقاب.

(3) - Beth Van Schaack, 'Transitional Justice Without Transition: The International Community's Efforts in Syria,' in The Syrian War: Between Justice and Politics, ed. Hilly Moodrick-Even Khen, Nir T. Boms and Sareta Ashraph (New York: Cambridge University Press, 2020) , 243–267.

انخرط فاعلون سوريون ودوليون في العدالة في نموذج العدالة الانتقالية ومجموعة أدواتها، لتوسيع حدود ما يمكن تصوره، من حيث العدالة والمساءلة. اعتمادًا على (15) مقابلة، توضح هذه الدراسة كيف يحاول بعض الفاعلين في العدالة مواجهةَ عمليات المحو والإخفاء، وكيف يمكنهم إعادة إنتاج بعض أشكالها عن غير قصد [4]. وهي تعتمد على قضية سورية لتسليط الضوء على مدى مشاركة سرديات العدالة وخيال العدالة. نسعى للمساهمة في التنظير لعمليات العدالة -الرسمية وغير الرسمية- في السياق السوري، من خلال استكمال الأوصاف التجريبية الحالية لجهود العدالة الناشئة بعدسة تحليلية جديدة.

على الرغم من أن هذه الدراسة لا تقدّم تحليلًا عميقًا عن حالة العدالة الانتقالية في سورية، فإنها تعتمد على المواد التجريبية والمصادر الثانوية، حيث إننا أجرينا مقابلات شبه منظمة -عبر الإنترنت- مع (10) ممثلين لمنظمات غير حكومية ومنظمات المجتمع المدني السورية والدولية، إضافة إلى مقابلات مفتوحة مع (5) فاعلين وفنانين في مجال العدالة، ممن يتعاطفون مع حركة العدالة، وقد حددنا الأشخاص المحتملين على أساس مشاركتهم في جهود العدالة، واخترنا الجهات الفاعلة التي تعمل على إجراءات العدالة لضحايا العنف الذي ترتكبه الدولة، لكون النظام مسؤولًا عن غالبية الجرائم الدولية [5]. وعلى ذلك، فإن العيّنة لا تمثل جميع عمليات العدالة المتعلقة بسورية، وقد تمحورت قائمة موضوعات المقابلات شبه المنظمة حول تطبيق مجموعة أدوات العدالة الانتقالية في سورية، والعوائق الرئيسة التي تحول دون تقدّم العدالة، والتطورات المتعلقة بجهود العدالة، وأنشطة مجموعات الضحايا وخطر إغفال الجرائم. سجلنا المقابلات صوتيًا، ثم نسخناها، من أجل ترميز البيانات المكتوبة وتحليلها حسب الموضوع، وطبّقنا ترميز النظرية الواقعية، أي أننا قمنا بعمل ترميز مفتوح أولي للمقابلات المكتوبة، وقد سمح ذلك للرموز بالظهور من البيانات. وباستخدام الترميز المحوري؛ بات لدينا أنماط مميزة، تسمح لنا بتنقيح الإطار المفاهيمي. وزاد من إثراء التحليل إجراءُ بحوث مكتبية عن الجهود المبذولة في مجال التنمية، من خلال دراسة التقارير المقدّمة من المنظمات السورية والدولية، وتحليل وسائط الإعلام (الاجتماعية)، والمشاركة في الندوات الدراسية.

في القسم التالي، نقدّم أولًا الإطار المفاهيمي، ثم نركّز على أنواع مختلفة من عملية مقاومة المحو والإخفاء التي تحدث في السياق السوري. وفي القسم الختامي، نسلّط الضوء على السبل البديلة: كيف يمكن أن تكون نقطةَ انطلاقٍ لفتح خيال العدالة وملء الفراغات التي تركتها العمليات الرسمية من دون معالجة؟

(4) - تحذر آن مينزل من خطر تهميش الأصوات غير المهنية، وهو أمر حقيقي أيضًا في سورية. انظر:
"The Pressures of Getting it Right: Expertise and Victims 'Voices in the Work of the Sierra Leone Truth and Reconciliation Commission (TRC)" International Journal of Transitional Justice 14 (2) (2020): 300–319.

(5) - Ugur Ümit Üngör, 'Eurocentrism in Research on Mass Violence,' in Eurocentrism in European History and Memory, ed. Robin de Bruin, Marjet Brolsma and Matthijs Lok, (Amsterdam: Amsterdam University Press, 2019) , 65–78.

تخيّل إمكانية التغيير

الخطاب والروايات والوظيفة التعبيرية لعمليات العدالة

لا شك في أن عمليات العدالة (القضائية وغير القضائية) تخدم غرض محاسبة الجناة أو تقديم الإنصاف للضحايا، غير أن لها أيضًا وظيفة تعبيرية [6]. تبحث هذه الدراسة في تلك الوظيفة التعبيرية، من خلال التركيز على السرديّات. نحن نبني تصوراتنا المفاهيمية عن هذه السرديات على فهم فوكو [الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو] الكلاسيكي للخطاب، إذ يرى الخطابات طرقًا لتكوين المعرفة وأشكال من الذاتية وعلاقات القوة [7]. في تحليل فوكو (Foucauldian)، السؤال المركزي هو كيف يمكن للخطابات تكوين أنظمة معنى، تهيمن على كيفية فهم أنفسنا وتنظيمها ووعي عالمنا الاجتماعي؟ وهذا يعني أيضًا الانتباه إلى الخطابات البديلة التي قد تكون مهمّشة وقهرية، ولكن يمكنها أن تصبح مواقع نزاع، حيث يتم تحدي الخطابات المهيمنة ومقاومتها.

بسبب الغموض التحليلي لمفهوم الخطاب، نركز على السرديات، التي نعدّها مظهرًا لممارسة استطرادية. ونستخدم هذا المفهوم للإشارة إلى التفاعلات الاجتماعية المضمنة في السياقات الشخصية والثقافية والمؤسسية والتاريخية [8]. وهذا يسمح لنا بالتحليل المنهجي للعلاقة بين السرديات والبنى والعلاقات والعمليات الاجتماعية والثقافية الأوسع نطاقًا [9].

عند تطبيق هذا المفهوم على مسألة عمليات العدالة، فإن هذه السرديات تُعبّر-ضمنيًا أو صراحة- عن رؤية مثالية للعدالة. فهي ترسل رسالة حول ما يعدّ جريمة، وما نجده غير مقبول، وما الذي يسبب الغضب الأخلاقي ونوع العدالة المنشودة التي يمكن التطلع إليها [10]. وعلى هذا النحو، تمتلك هذه السرديات سلطة وضع القواعد والمعايير، لكونها تخلق «توجهًا معرفيًا مشتركًا وافتراضًا مشتركًا» [11]. وهي تشكّل كيفية فهمنا للعدالة، من خلال توجيه وتقييد أفعالنا وتصوراتنا وخبراتنا معًا. يمكن لهذا التوجيه أن يُعيد تأكيد الأفكار

---

(6) - Zinaida Miller, 'Effects of Invisibility,' International Journal of Transitional Justice 17(2) (2008): 266–291.

(7) - Michel Foucault, L'ordre du discours (Paris: Gallimard, 1971) ; Chris Weedon, Feminist Practice and Poststructuralist Theory (Oxford: Blackwell, 1987), 108.

(8) - Susan Chase, 'Narrative Inquiry: Toward Theoretical and Methodological Maturity,' in The Sage Handbook of Qualitative Research, ed. Norman K. Denzin and Yvonna S. Lincoln (Thousand Oaks: Sage, 2005) , 656.

(9) - Norman Fairclough, 'Critical Discourse Analysis,' marges linguistiques 9 (2005), https://bit.ly/3OlTmRF (accessed 21 May 2020).

(10) - Miller, supra n 6.

(11) - Ryan Goodman and Derek Jinks, Socializing States: Promoting Human Rights Through International Law (Oxford: Oxford University Press, 2013) , 169.

وفئات العدالة القائمة أو الاعتراض عليها، أي خيال العدالة السائدة [12]. هذا التأكيد أو الخلاف أكثر صلة في حالات الصراع المستمر والأوقات الانتقالية؛ حيث تتشكل السرديات من خلال عمليات ومناقشات العدالة القائمة ومن خلال السياق الاجتماعي الأوسع، وكلها متقلبة. وإضافة إلى ذلك، فإن السرديات ليست محايدة أو خالية من القيمة. فقد تخفي كل شيء لا يتناسب مع «معايير الوضوح» أو لا يتماشى مع منطق التجربة المعرفية السائدة [13].

ومع ذلك، لم تحظَ تأثيرات سرديات العدالة في حالة الصراع المستمر، وخاصة ما حُذِف منها، إلا باهتمام محدود. وهذا أمرٌ مدهش عند التفكير في مجموعة كبيرة من الدراسات القانونية (الاجتماعية) التي تلفت الانتباه إلى أنّ الطرق التي يمكن من خلالها معالجة أو مقاربة التجارب الحية بشكل غير كافٍ يمكن أن تغذي بشكل غير إرادي المظالم التي كان من المفترض معالجتها وتفكيكها [14]. لذلك تستكشف هذه الدراسة كيف يمكن لسرديات العدالة أن تحذف -عن غير قصد- تجاربَ الضحايا، وتقدم أمثلة على الكيفية التي يسعى بها الفاعلون في مجال العدالة إلى مواجهة ذلك. ينبثق التصور المفهومي لأنواع الإغفالات في القسم التالي من ترميز نظريتنا الأساسي، الذي نربطه مرة أخرى بالأدبيات الثانوية حول موضوع جهود العدالة للسوريين. في هذا القسم، نستكشف كيف أن سرديات معينة للعدالة قد تقوض ظهور خيال عدالة أكثر ثراء، وأنواع معينة من المعرفة حول واقع الضحايا عند الفشل في معالجة قضايا معينة [15]، ففي كثير من الأحيان يتم احتواء النقاش حول العدالة، من خلال ما هو ممكن وقابل للتحقيق. إن الضحايا والجهات الفاعلة في مجال العدالة يحفزّون الأطراف الخارجية، في كل من المجال المؤسسي والرأي العام الأوسع، على التعامل مع العدالة بشكل أكثر تأكيدًا، من خلال الاعتراف بالضرر الذي لحق بالضحايا والاعتراف بضرورة تحقيق العدالة. ويمكن أن يؤدي ذلك إلى تجنب تقليص النقاش حول العدالة بشكل مسبق إلى ما يمكن القيام به، وما يمكن أن يسهّل مقاومة بنى السلطة التي تكمن فيها أساس المظالم.

على العكس من ذلك، عندما تقدم سرديات العدالة بشكل منهجي فكرة الممارسة القانونية للعقلانية والاستقرار والقدرة على التنبؤ، التي لها مزاياها، فإنها قد تزاحم السرديات ذات الأسس المعرفية المختلفة. وقد تؤدي هذه السرديات إلى الجهل من خلال نشر نصوص مشوهة [16]. ونادرًا ما يتألف هذا التشويه من نوع من الحذف أو يستتبعه. والإشارات إلى الحالة السورية في الأقسام التالية تجعل الاقتراح المفاهيمي أكثر واقعية.

---

(12) - Hollyce Giles, 'Toward a Theory of Justicecraft: Language, Narratives, and Justice in Restorative Community Conversations,' Contemporary Justice Review 22(3) (2019): 257–279.

(13) - Rolando Vazquez, 'Translation as Erasure: Thoughts on Modernity's Epistemic Violence,' Journal of Historical Sociology 24(1) (2011): 7–44.

(14) - Laurel Fletcher and Harvey Weinstein, 'Transitional Justice and the "Plight" of Victimhood,' in Research Handbook on Transitional Justice, ed. Cheryl Lawther, Luke Moffett and Dov Jacobs (Cheltenham: Edgar Elgar, 2017) , 244–266.

(15) - Giles, supra n 12.

(16) - José Medina, The Epistemology of Resistance: Gender and Racial Oppression, Epistemic Injustice, and Resistant Imaginations (New York: Oxford University Press, 2018) , 27.

نماذج الإغفالات

الإغفالات ليست حوادث عرضية، وإنما تعكس في كثير من الحالات ديناميات السلطة الحالية. بناءً على العمل التجريبي والملاحظات المتعلقة بعمليات العدالة في سورية والأدبيات الموجودة، فإننا في هذا القسم نخلق مفهومًا عن العمليات المختلفة للمحو والإخفاء.

المحو/ الإبادة

نحن نعرّف المحو على أنه عملية تؤدي فيها الأفعال المباشرة والاختيارات الواضحة للجهات الفاعلة التي يمكن التعرف عليها إلى تضييق سرديات العدالة، من خلال استبعاد أصوات أو مواضيع معينة. بموجب هذا التعريف، فإن الفعل الذي يمكن التعرف عليه والفاعل الذي يمكن التعرف عليه هما أمران حاسمان، وليس نية الفاعل. يمكن أن تكون الاختيارات مدفوعة بالحسابات الاستراتيجية، بقدر ما تكون مدفوعة باعتبارات الجدوى أو الكفاءة. في الواقع، قد تكون هناك أسباب مبررة لحذف أصوات أو مواضيع معينة، أو لإعطاء الأولوية لقضايا معينة على حساب غيرها. ومع ذلك، من المهمّ فحص المدى الذي يُرجّح فيه حذف أصوات أو موضوعات معينة من سرديات العدالة أكثر من غيرها، وكيف يتشكل ذلك من خلال خيال العدالة ويؤثر فيه.

إن إعادة توجيه التركيز التحليلي نحو الفعل والفاعل، بدلًا من النيّات، تسمح لنا بالتقاط أكثر أشكال المحو وضوحًا (على سبيل المثال، عندما تسعى الأنظمة القمعية إلى التستر على جرائمها)، إضافة إلى الأشكال الأكثر دقة، حيث تؤدي (غالبًا ما يكون ذلك بحسن النية) إجراءات وخيارات الجهات الفاعلة في مجال العدالة إلى إغفال أصوات أو مواضيع معينة. في حين أن هذين حدثان مختلفان اختلافًا جوهريًا، فإننا نسمي كليهما عملية "محو"، للفت الانتباه إلى إرادة/ أهلية الفاعلين للعدالة، الذين يمكنهم العمل كرواد أعمال عاديين باستخدام السرديات لإنشاء القضايا ودفعها نحو الصدارة [17].

(17) - Martha Finnemore and Kathryn Sikkink, 'International Norm Dynamics and Political Change,' International Organization 52(4) (1998): 887–917.

قد يشغل هؤلاء الفاعلون في مجال العدالة مناصب مختلفة، أو يمتلكون خصائص مختلفة، أو يتم تنظيمهم في مجتمعات معرفية مختلفة [18]. ضمن بنية العدالة الانتقالية، يمكننا التفكير في ممارسين قانونيين أو شبكات مناصرة للناشطين الذين يسعون إلى تحقيق العدالة [19]. يمكن لأعمال الفاعلين المنتمين إلى هذه المجتمعات والعلاقات بينهم أن تشكل/ تؤطر إنتاج المعرفة وتتقاسمها، ويمكن أن تكون بمنزلة محفزات لأفكار مجتمعات معينة، في طرق تأكيد القوة أو التنازع عليها [20]. يمكنها المساهمة في عمليات محو السردية بطرق عدة (من الجهل النشط إلى غبن الشهادة إلى التشيؤ/ التجسيد المعرفي) [21]. أو يمكنها الانفتاح على خيال العدالة.

(18) - Vivien A. Schmidt, 'Taking Ideas and Discourse Seriously: Explaining Change Through Discursive Institutionalism as the Fourth "New Institutionalism" ,' European Political Science Review 2(1) (2010): 1–25.

(19) - Margaret Keck and Kathryn Sikkink, Activists Beyond Borders: Advocacy Networks in International Politics (Ithaca: Cornell University Press, 1998).

(20) - Briony Jones, 'The Performance and Persistence of Transitional Justice and Its Ways of Knowing Atrocity,' Cooperation and Conflict 56(2) (2021): 163–180.

(21) - المحو مرتبط بالطرق التي تعمل بها السلطة، وإن تميّز بأفعال مميزة لفاعلين مختلفين. يجب النظر إلى هذه الديناميكيات الأوسع للسلطة في حد ذاتها. المدينة Medina، الهامش 16.

الإخفاء

نسمّي النوع الثاني من الإغفال "الإخفاء". ويشير هذا إلى ديناميكية تُحذف بموجبها أصوات أو قضايا معينة، من العمليات العامة للتواصل والتداول، ولا يمكن تحديد أي جهة فاعلة أو فعل معين كسبب لهذه العملية [22]. على هذا النحو، ينتج الإخفاء اتجاهات أوسع للتهميش. إن تجسيد هذه الديناميكيات البنيوية عبر عمليات العدالة وسرديتاها يعني أيضًا أن تأثيرات بعض الإغفالات تُجمع في هذه العملية الاجتماعية الضمنية [23]. ولأن الخطابات والسرديات تبني معرفتنا واهتمامنا، نجدها تمتلك القدرة على إخفاء كل ما لا يتناسب مع الأفق الحالي لقابلية الفهم/ المفهومية والوضوح [24]. فمن ناحية، قد يعوق هذا الوصول إلى العدالة، ويؤدي إلى نصوص مشوهة تتحدى قدرتنا على تخيل نوع العدالة التي يسعى إليها الضحايا. ومن ناحية أخرى، يمكن أن يؤدي إلى نوع من الاختيار الذاتي المنتج اجتماعيًا، أو ضبط النفس من جانب الفاعلين المتأثرين عند السعي وراء الاهتمام بواقعهم. من المهم تسليط الضوء على هذه العملية في سياق سرديات العدالة (الانتقالية)، حيث من المحتمل أن تحدث الإغفالات في سياق الديناميكيات غير الملموسة المتعلقة بالبنى والديناميكيات الاجتماعية المتقلبة.

يسمح التمييز المفاهيمي بين المحو والإخفاء بفهم أفضل لما حُذف ومن الذي حذفه ولماذا، بالإضافة إلى تحليل أكثر دقة لكيفية عمل سرديات العدالة وكيفية إعادة إنتاج المظالم (المعرفية) أو المساهمة فيها. كما يسمح بمشاركة أعمق مع الأسئلة حول العلاقة ذات الاتجاهين بين سرديات العدالة وخيال العدالة.

يتبع تمييزنا بين المحو والإخفاء تمييز **غالتونغ Galtung** بين العنف المباشر والعنف البنيوي، حيث يتبع المحو منطقه الخاص بالعنف المباشر الذي يمكن من خلاله تحديد الفاعل [25]. تشترك عملية (ونتائج) الإخفاء في كثير من الديناميكيات مع العنف البنيوي، أي تلك الأنواع من العنف المضمنة في النظم والبنى الاجتماعية، حيث لا يوجد فاعل يرتكب العنف ويعمل العنف من خلال البنى الاجتماعية أو المؤسسات التي تضر الناس. ومع ذلك، يمكن أن يتسبب كلا النوعين من الإغفال في مزيد من الأذى، أو يؤدي إلى صدمة نفسية (تروما) للضحايا، أو يتدخل في تكوين الوعي وتعبئة العدالة [26].

---

(22) - Benno Herzog, 'Invisibilization and Silencing as an Ethical and Sociological Challenge,' Social Epistemology. A Journal of Knowledge, Culture and Policy 32(1) (2017): 13–23.

(23) - Axel Honneth, 'Reification: A Recognition-Theoretical View' (paper presented at Tanner Lectures on Human Values, University of California, 14–16 March 2005, https://bit.ly/3xNki5U, accessed 4 March 2021).

(24) - Vazquez, supra n 13. He calls these the mechanisms of epistemic exclusion and oppression.

(25) - Johan Galtung, 'Violence, Peace and Peace Research,' Journal of Peace Research 6(3) (1969): 167–191.

(26) - Ulrika Andersson, 'Communications of Autonomy and Vulnerability in Criminal Proceedings,' International Journal of Law, Language and Discourse 6(1) (2016): 37–44.

مقاومة المحو والإخفاء

المقابلات أيضًا أكّدت أهمية السرديات والممارسات التي تسعى إلى مقاومة المحو والإخفاء. نبدأ في وضع تصوّر لهذه المقاومة من خلال الاعتراف بأن بعض الفاعلين، وإن كان لديهم وصول أكبر إلى السرديات التي تشكل كيفية معرفة الناس للعالم من حولهم وإلى بعض البنى المحددة التي لها تأثير أكبر عليها؛ لن يحتكروا أبدًا صنع المعنى أو وضع المعايير، لأنهم موجودون في بيئة تعددية، حيث تتعايش السرديات الأخرى التي تتحدى الفهم السائد للعدالة. غالبًا ما تتبنى المجموعات غير المرئية، والجهات الفاعلة التي تم محو حقائقها أو الجماعات التي تُتجاهل نضالاتها، استراتيجيات سردية تهدف إلى وضع مخاوفهم على رأس جدول الأعمال. يوضح **وينسلايد Winslade**، على سبيل المثال، أن تحدي السرديات المهيمنة ممكن من خلال تقديم سرديات مضادة تسلط الضوء على طرق بديلة للوجود والعمل [27]. ويمكن لهذه السرديات أن تخلق احتكاكًا معرفيًا، يكون هدفًا في حد ذاته [28].

أكد تحليلنا لعمليات العدالة في السياق السوري والمقابلات أيضًا أهمية الديناميكيات التي يمكن أن تخلقها المبادرات الفنية في هذا الصدد [29]. يمكن للفنون أن تولد تفكيرًا إبداعيًا وأن تفتح للناس وعيًا جديدًا لأنفسهم وبعضهم البعض [30]. ومع ذلك، فإن دراسة إمكانات المقاربات الفنية والثقافية لمعالجة المظالم قد قوبلت بالتجاهل منذ فترة طويلة [31]. تدريجيًا، تتوسع الدراسات الأكاديمية حول العلاقة بين الفنون والعدالة الانتقالية، حيث يبحث العلماء في كيفية مساهمة الفنون في البحث عن الحقيقة والمصالحة وتكملة العمليات الرسمية [32]. من خلال فتح السبل لتجارب الحضور للأشخاص المهمشين أو المجبرين على الصمت، ومن خلال تحدي القصص المألوفة، يمكن للفنون أن تساهم في إرساء الأساس

---

(27) - John Winslade, 'Can Restorative Justice Promote Social Justice?' Contemporary Justice Review 22(3) (2019): 280–289.

(28) - Medina, supra n 16.

(29) - نريد الابتعاد بعناية عن وجهة النظر النفعية التي ترى أن العلاقة بين العدالة والفنون علاقة تعاقدية من الباطن. انظر:
. Ramiah Devanand, 'Afterword,' in ActingTogether: Performance and the Creative Transformation of Conflict, Volume 1: ResistanceAnd Reconciliation in Regions of Violence, ed. Cynthia E. Cohen, Roberto Gutiérrez Varea and Polly O. Walker (New York: New Village Press, 2011), 245.

(30) - Cynthia Cohen, 'Reimagining Transitional Justice,' International Journal of Transitional Justice 14(1) (2020): 1–13.

(31) - Anne Dirnstorfer and Nar Bahadur Saud, 'A Stage for the Unknown? Reconciling Postwar Communities through Theatre-Facilitated Dialogue,'International Journal of Transitional Justice 14(1) (2020): 122–141

(32) - Peter Rush and Olivera Simić, The Arts of Transitional Justice: Culture, Activism, and Memory After Atrocity (New York: Springer, 2019) ; Renee Jeffery, 'The Role of the Arts in Cambodia's Transitional Justice Process,' International Journal of Politics, Culture and Society (2020), https://bit.ly/3QHxySg; Eliza Garnsey, The Justice of Visual Art: Creative State-Building in Times of Political Transition (Cambridge: Cambridge University Press, 2019).

لعمليات العدالة [33]. في الواقع، تتطلب الإغفالات مقاربات إبداعية لإبراز الأصوات غير المسموعة. ويمكن أن تؤدي الديناميكيات الكامنة وراء التدخلات الفنية دورًا في الإحضار[الانتقال من التهميش إلى الحضور] - أي تقديم ما كان مهملًا أو غير مرئي سابقًا- وفي التعبير عن حالات الغياب/ التغييب [34]. إن ترسيخ حضورهم الظرفي هو الذي يسمح لهم بإنشاء علاقة عاطفية بالواقع الذي يعيشه الناس وتحدي ديناميات الإغفال [35].

(33) - Andrea Breslin, 'Art and Transitional Justice: The "Infinite Incompleteness" of Transition,' in Research Handbook on Transitional Justice, ed. Cheryl Lawther, Luke Moffett and Dov Jacobs (Cheltenham: Edgar Elgar, 2017) , 267–285; Lee Anne Bell and Dipti Desai, 'Imagining Otherwise: Connecting the Arts and Social Justice to Envision and Act for Change: Special Issue Introduction,' Equity & Excellence in Education 44(3) (2011): 287–295.

(34) - Pablo de Greiff, 'On Making the Invisible Visible: The Role of Cultural Interventions in Transitional Justice Processes,' in Transitional Justice, Culture and Society: Beyond Outreach, ed. Clara Ramirez-Barat (New York: International Center for Transitional Justice, 2014) , 11–24.

(35) - تجدر الإشارة إلى أن أعمال المحو قد تحدث كرد فعل على استراتيجيات مكافحة الإخفاء أو المحو المضاد، أي عندما تكشف بعض الجهات الفاعلة عن مدى إخراج القضايا والأصوات من المناقشة، فإن الاستراتيجية الرجعية قد تكون محاولة لرص الصفوف أكثر.

تحريك خيال العدالة عند السوريين

في هذا القسم، نركز على الحالة السورية، باستخدام الإطار المفاهيمي لقضايا الحضور التي غالبًا ما تُمحى أو تُخفى في سرديات العدالة السائدة. منذ عام 2011، ترتكب أطراف الصراع كل أنواع الجرائم الدولية التي يمكن تخيلها تقريبًا. ومع ذلك، لم يتم تناول سوى جزء بسيط من هذه الجرائم في عمليات العدالة الرسمية. في هذا القسم، نرسم أولًا ملامح النقاشات حول العدالة للسوريين، من خلال التركيز على الكيفية التي أدت بها محاولات النظام إضعاف بنية العدالة الدولية في الواقع، إلى إضعاف جهود العدالة الرسمية للسوريين. ثم نوضح كيف ظهرت أنواع مبتكرة من نشاط العدالة، على الرغم من فجوة المساءلة هذه أو الاستجابة لها. نحن لا ندعي تقديم تصنيف شامل لاحتياجات الضحايا وعمليات العدالة القائمة، ولا دراسة متعمقة للصراع السوري وتاريخ الاستبداد [36]. سيكون هذا خارج نطاق مادة واحدة. وبدلًا من ذلك، سنستكشف كيف تتجلى عمليتا المحو والإخفاء في الحالة السورية.

(36) - Beth Van Schaack, Imagining Justice for Syria (Oxford: Oxford University Press, 2019) ; Volker Perthes, Syria Under Bashar al-Asad: Modernisation and the Limits of Change (Oxford: Oxford University Press, 2004) ; Raymond Hinnebusch and Omar Imady, The Syrian Uprising: Domestic Origins and Early Trajectory (London: Routledge, 2018).

مناقشة العدالة المجهضة

لفهم حالة النقاشات حول العدالة بين الجهات الفاعلة في العدالة السورية والدولية، من المهمّ الاعتراف بمسألتين: الأولى هي العنف الجماعي (التاريخي) مع محاولات النظام السوري احتكار صنع سردية هذا العنف [37]؛ والثانية: إلى أي مدى تم الاستيلاء على خيال العدالة الغربية، من خلال التعامل مع الجرائم والتهديدات المتعلقة بدولة العراق الإسلامية وسورية (داعش)، والاقتصار عليها إلى حد كبير [38]. بخصوص المسألة الأولى، سيكون من المستحيل تقديم نظرة عامة متعمقة للعديد من المظالم بطريقةٍ لا تؤدي إلى إعادة إنتاج الإغفالات التي ننتقدها في الجزء المتبقي من هذه الدراسة. ومع ذلك، من أجل فهم طبيعة العنف في سورية، نحتاج إلى تحديد كيفية تحوّل عمليات التعذيب والاعتقال والإخفاء القسري إلى أمور محورية في السياسة السورية.

من الثابت أن العنف الجماعي أثرّ على كل مواطن سوري منذ قيام نظام الأسد في عام 1970، الذي وصفه ميشيل سورا Seurat بأنه "دولة بربرية" [39]. استخدم النظام التهديد بالعنف لإجبار المواطنين على الصمت [40]. هذا النظام، «نظام الحرب الأهلية» هو في حالة حرب دائمة مع مواطنيه، وقد وضع سياسات الاستئصال/ الإبادة في صميم حكمه. في شباط/ فبراير 1982، حيث قتلت القوات الحكومية ما يصل إلى 20 ألف شخص في مذبحة حماة، التي كانت الفصل الأخير من سنوات الاضطرابات الشعبية [41]. ولاستمرار إرهاب السجن السياسي القدرُ نفسه من الأهمية في النظام السياسي السوري. وإضافة إلى العنف الجسدي، كان هناك عنف معرفي بعيد المدى، حجب فيه النظام جرائمه بمنع المواطنين من سرد تجاربهم، وقام بتهميش مجموعات بأكملها بمنهجية واطراد [42].

إن التجربة الطويلة للصمت المفروض هي التي بذرت بذور إعلان مطالب العدالة. وفي هذا السياق، فتحت احتجاجات 2011 مساحات جديدة لإنتاج وتداول السرديات المعارضة في المجال العام [43]. ونتج

(37) - Salma Ismail, The Rule of Violence: Subjectivity, Memory and Government in Syria (Cambridge: Cambridge University Press, 2018) , 4.

(38) - Üngör, supra n 5.

(39) - Michel Seurat, Syrie: L'Etat de Barbarie (Paris: Presses Universitaires de Paris, 2012).

(40) - Ziad Majed, Syrie: La révolution orpheline (Arles: Actes Sud, 2014) , 64.

(41) - Dara Conduit, 'The Patterns of Syrian Uprising: Comparing Hama in 1980–1982 and Homs in 2011,' British Journal of Middle Eastern Studies, 44(1) (2016) , 73–87.

(42) - Gayatry Chakravorty Spivak, 'Can the Subaltern Speak?' in Colonial Discourse and Post-colonial Theory: A Reader, ed. Laura Chrisman and Patrick Williams (New York: Harvest Wheathead, 1993) , 90–105.

(43) - Lisa Wedeen, Authoritharian Apprehensions: Ideology, Justice and Mourning in Syria (Chicago: Chicago University Press, 2018).

عن ذلك توتر بين هذا الإرث من العنف والإسكات القمعي من جهة، والسرديات المعارضة الحالية من جهة أخرى. وعند تحليل سرديات العدالة الحالية، يجب أخذ كلا السرديتين في الحسبان.

ومع ذلك، فإن سرديات العدالة لا تتميز بهذا الوضع داخل البلد فحسب، بل في السياق الدولي أيضًا حيث غالبًا ما تتفوق فيه السياسة الواقعية على المناقشات حول العدالة. بينما واصلت الجهات الفاعلة في مجال العدالة السورية التعبئة ضد التعذيب والاختفاء القسري والاحتجاز، فشلت الافتراضات الأولية للحكومات الغربية في توقع سيناريو يعوق فيه النظام جهود العدالة، بل إنه صعّد وتيرة عنفه، من إطلاق النار على المتظاهرين إلى قصف المدن بأكملها [44]. وإضافة إلى ذلك، أدت الخلافات الدولية الجوهرية حول حل الصراع إلى شل نظام العدالة الجنائية الدولية [45]. ومنذ ظهور تنظيم (داعش) في عام 2014، بدأت السردية، لدى كثير من الأوساط السياسية والإعلامية الغربية، في تأطير نظام الأسد على أنه النظام المقاتل للجماعات الجهادية العنيفة، وفي واقع الأمر تركته في الغالب يفلت من العقاب [46]. وتماشى هذا بالتوازي مع إستراتيجية النظام الناجحة في التضليل الإعلامي، التي نشير إليها بالحرب السرديّة، والتي تهدف إلى تشويه سمعة الأدلة على الجرائم والروايات المعارضة بشكل عام [47]. ونتيجة لذلك، لم تُفعَّل الآليات الرسمية لمتابعة المساءلة، على الرغم من تصاعد العنف -حتى الهجمات الكيميائية- ضدّ المدنيين [48].

على الرغم من احتمالية أن تصبح عملية الانتقال وعملية العدالة الشاملة باهتة وضبابية بشكل متزايد، تواصل منظمات المجتمع المدني السورية ومجموعات الضحايا والمنظمات غير الحكومية الدولية التعبئة والحشد من أجل العدالة، وغالبًا ما تستخدم لغة وآليات العدالة الانتقالية التي حافظت، وفقًا للأشخاص الذين قابلناهم، على إبقاء قضية العدالة على الأجندة الدولية. بسبب القيود المذكورة أعلاه لبنية العدالة الدولية، تستكشف هذه الجهات الفاعلة أيضًا مبادرات بديلة وتقدّم مقترحات الضحايا لتحقيق العدالة.

(44) - Sune Haughbolle, 'Imprisonment, Truth Telling and Historical Memory in Syria,' Mediterranean Politics 13(2) (2008): 261–276.

(45) - استخدمت روسيا والصين حق النقض ضد قرارات مجلس الأمن التي كانت ستحيل الوضع إلى المحكمة الجنائية الدولية.

(46) - Espen Stokke and Eric Wiebelhaus-Brahm, 'Syrian Diaspora Mobilization: Vertical Coordination, Patronage Relations, and the Challenges of Fragmentation in the Pursuit of Transitional Justice,' Ethnic and Racial Studies 42(11) (2019) , 1930–1949; Üngör, supra n 5.

(47) - Wedeen, supra n 43; Uğur Ümit Üngör, 'Narrative War Is Coming,' Al-Jumhuriya, 7 June 2019, https://bit.ly/3zV9O7b (accessed 6 June 2020).

(48) اتخذت كثير من المبادرات داخل الأمم المتحدة، أدت إلى جهود غير قضائية لتوثيق الانتهاكات لإرساء الأسس لعمليات المساءلة المستقبلية.

طرق العدالة الرسمية المتاحة

استخدمت الجهات الفاعلة في مجال العدالة داخل سورية وخارجها كل السبلَ المتاحة للسعي نحو تحقيق (شكل محدود من أشكال) العدالة، مع التركيز في الغالب على جهود التوثيق لسدّ فجوة المساءلة [49]. وتسعى هذه الجهود إلى ضمان عدم ضياع الأدلة. في البداية، سنناقش مبادرتين رسميتين، وننتقل في القسم الأخير إلى المبادرات غير القضائية التي تسعى إلى مواجهة بعض الإغفالات التي تحدث في المجال الرسمي.

الولاية القضائية العالمية

لا تزال العدالة الجنائية إحدى ركائز العدالة الانتقالية، وكذلك في الحالة السورية. بسبب الجمود على المستوى الدولي، يرى المحامون أن الملاحقات الجنائية في المحاكم القومية الأجنبية، من خلال ممارسة الولاية القضائية خارج الإقليم، هي الخيار الوحيد لمتابعة المساءلة الجنائية. تسمح الولاية القضائية العالمية للمحاكم المحلية بمقاضاة الجرائم الدولية المرتكبة في بلد آخر، عندما يكون من المستحيل تحقيق العدالة في الأراضي التي ارتُكبت فيها الجرائم. على الرغم من القيود الشديدة، فقد أصبحت هذه أهم وسيلة لضمان وصول الضحايا السوريين إلى العدالة الجنائية [50].

في كثير من الدول الأوروبية، شاركت المنظمات غير الحكومية في التقاضي الاستراتيجي: تعاون المحامون السوريون والضحايا وعائلاتهم لبدء قضايا الولاية القضائية العالمية، بخصوص جرائم الحرب أو الجرائم ضد الإنسانية المرتكبة في سورية [51]. في نيسان/ أبريل 2020، عقدت المحكمة الإقليمية العليا في كوبلنز، على سبيل المثال، جلسة أول محاكمة عن تعذيب الدولة السورية بحق اثنين من مسؤولي النظام، ما يسمى "محاكمة الخطيب". كان هذا نتيجة شكوى جنائية من المركز الأوروبي للحقوق الدستورية وحقوق الإنسان (ECCHR)، وضحايا ومنظمات سورية غير حكومية. وقد أدى ذلك في شباط/ فبراير 2021 إلى إدانة عضو سابق في المخابرات السورية بارتكاب جرائم ضد الإنسانية [52]. كانت هذه القضية أول محاكمة بموجب

(49) - Ingrid Elliott, '"Meaningful Step Towards Accountability"? A View from the Field on the United Nations International, Impartial and Independent Mechanism for Syria,' Journal ofInternational Criminal Justice 15(2) (2017): 239–256; Van Schaack, supra n 3 at 253.

(50) - Beth Van Schaack, 'National Courts Step Up: Syrian Cases Proceeding in National Courts,' (2019). https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=3327676 (accessed 6 April 2020).

(51) - منذ عام 2016، يجمع المركز الأوروبي للحقوق الدستورية وحقوق الإنسان قضايا تعذيب مع أكثر من 50 سوريًا في ألمانيا والنمسا والسويد والنرويج. بدأت السويد وألمانيا أكبر عدد من التحقيقات بموجب الولاية القضائية العالمية. فولفغانغ كاليك وباتريك كروكر، "التحقيقات المتعلقة بالتعذيب السوري في ألمانيا وما وراء بث حياة جديدة في السلطة القضائية العالمية في أوروبا؟"
'Syrian Torture Investigations in Germany and Beyond Breathing New Life into Universal Jurisdiction in Europe?' Journal of International Criminal Justice 16(1) (2018): 165–191.

(52) - ECCHR, 'Al-Khatib Trial Update, Day 60, Eyad A Is Sentenced,' 14 February 2021, https://bit.ly/3HJxmOh (accessed 5 March 2021).

الولاية القضائية حول سورية سمحت لسرديات عدالة تتجاوز التركيز الحصري على المقاتلين الأجانب، التي كانت حتى ذلك الحين قد أبعدت حقائق ضحايا النظام السوري عن الرصد/ الرادار[53].

تُعَدّ محاكمة الخطيب أيضًا علامة فارقة، لكونها أوّل قضية بموجب الولاية القضائية العالمية تمكّن فيها ضحايا عنف الدولة من الشهادة في المحكمة. ولفتت هذه الشهادات الانتباه إلى ممارسة المسؤولين الحكوميين للتعذيب على نطاق واسع عبر إجراء قضائي. سمحت المكانة المركزية لشهادة الشهود في الإجراءات للضحايا بمعالجة القضايا المحرمة، مثل العنف الجنسي، في منتدى رسمي لأول مرة[54].

لا يمكن المبالغة في تقدير أهمية الولاية القضائية العالمية، لأنها إحدى السبل القضائية الملموسة الوحيدة للضحايا السوريين للسعي إلى المساءلة الجنائية في مواجهة الإفلات شبه المطلق من العقاب[55]. يراعي السوريون ثلاثة أمور: الأول هو أن آليات العدالة المحلية أو الدولية هي الخيارات المفضلة؛ الثاني أن جهود العدالة لا يمكن أن تقتصر على الآليات العقابية والانتقامي؛ الثالث يمكن للتركيز المحوري على التعذيب أن يُسهم في إغفال أنواع أخرى من الانتهاكات (انظر أدناه)[56]. ومع ذلك، يتم الإشادة بقضايا الولاية القضائية العالمية، بكونها أول صدع في جدار الإفلات من العقاب[57]. ويُنظر إلى إحياء الولاية القضائية العالمية على أنها فرصة لتوسيع دائرة البلدان المستثمرة في عمليات العدالة، وإنشاء سوابق قانونية وتعزيز الوعي العام الجماعي[58].

بينما نعترف بحدود المساءلة الجنائية، فضلًا عن العدد المحدود للمحاكمات، فإن القيمة الرمزية لهذه الإجراءات ووظيفتها التعبيرية تقودنا إلى استكشاف دورها في تشكيل خيال العدالة. إضافة إلى تزويد الضحايا بسبيل لمتابعة المساءلة الجنائية، فإن المحاكمات في إطار الولاية القضائية العالمية توفّر مساحة للحفاظ على سرديتاهم والتعبير عنها واستعادتها، وهذا لا يقلّ أهمية عن حجّتنا. هذا أمرٌ بالغ الأهمية في حالة الحرب السردية، لأنه يساعدهم في مواجهة محاولات النظام لتجاهل تجاربهم وإنكارها. وبسبب هذا، يرى كثير من الضحايا أيضًا أن المحاكمات بموجب الولاية القضائية العالمية تعدّ وسيلة للمقاومة السردية

---

(53) - Máximo Langer and Mackenzie Eason, 'The Quiet Expansion of Universal Jurisdiction,' European Journal of International Law 30(3) (2019): 779–817.

(54) - ومع ذلك، فإن إعداد قاعة المحكمة ينطوي على أخطار الحذف والتشويه، عندما يتعين على الضحايا تبادل الخبرات برفقة خطوط آمرة من التفكير القانوني. عندما أدلى المحامي السوري أنور البني بشهادته في 5 حزيران/ يونيو 2020، وأصر على استخدام النظام للتعذيب، ضغط عليه القاضي لإبداء ملاحظات أقل عمومية، كرم شوملي وفريز ستريف، «شهود سوريون يتكلمون، جرائم الفظائع في سورية أمام المحاكمة»، بودكاست 251، 12 حزيران/ يونيو 2020، https://bit.ly/39PIYCL (تم الوصول إليه في 20 يونيو 2020). علاوة على ذلك، بسبب الاستقطاب والترهيب الذي يتعرض له الضحايا وعائلاتهم، يتعرض الشهود المحتملون للضغط.

(55) - مقابلة شخصية مع أنور البني، مدير المركز السوري للدراسات والبحوث القانونية، 10 نيسان/ أبريل 2020.

(56) - مقابلة شخصية، باتريك كروكر، مستشار قانوني، المركز الأوروبي للحقوق الدستورية وحقوق الإنسان، 20 آذار/ مارس 2020؛ مقابلة شخصية، روجر فيليبس، المدير القانوني، المركز السوري للعدالة والمساءلة، 27 آذار/ مارس 2020.

(57) - مقابلة شخصية مع ماريانا كركوتلي، مستشارة قانونية، مركز العدالة والمساءلة، 7 تموز/ يوليو 2020.

(58) - مقابلة شخصية مع المعتصم الكيلاني، مدير برنامج التقاضي، المركز السوري للإعلام وحرية التعبير، 3 نيسان/ أبريل 2020.

[59]. يوضح هذا أيضًا الوظيفة التعبيرية لمحاكمات الولاية القضائية العالمية خارج قاعة المحكمة، إضافة إلى قدرتها على منح الضحايا فرصة للتعبير عن (بعض) احتياجات العدالة. قبل الانتقال إلى إغفال الولاية القضائية العالمية لبعض احتياجات العدالة، نناقش مبادرة العدالة الرسمية الثانية.

الآلية المحايدة الدولية المستقلة (IIIM)

في كانون الأول/ ديسمبر 2016، أنشأت الجمعية العامة للأمم المتحدة «آلية دولية محايدة ومستقلة، للمساعدة في التحقيق ومقاضاة المسؤولين عن الجرائم الأكثر خطورة، بموجب القانون الدولي، المرتكبة في الجمهورية العربية السورية منذ آذار/ مارس 2011». يمكن لهذه الآلية، من الناحية النظرية، أن تسهم في إرساء الأساس للعدالة الجنائية الدولية. على الرغم من صلاحياتها المحدودة، فإن الآلية المحايدة الدولية المستقلة تعزز جهود التوثيق الحالية، من خلال تجميع الأدلة والدفاع لاستخدام هذه الأدلة في الملاحقات القضائية بموجب الولاية القضائية العالمية [60]. تكمن أهمية هذه الآلية لهذه الدراسة في محاولاتها لمعالجة فجوة المساءلة، من خلال تحديد الثغرات الاستدلالية للجرائم الخطيرة وسدّها. لذلك نحن مهتمون بأي نوع من الجرائم التي تتصدى لها هذه الآلية.

وبالنظر إلى أن المحققين والموثقين السوريين هم من يمكنهم العمل داخل سورية، مع عدم وجود صلاحيات للمدّعي العام أو أوامر المحكمة، فليس أمام الآلية الدولية المستقلة والمحايدة سوى التعاون مع منظمات المجتمع المدني السورية [61]، وتتبّع مقاربة تركّز على الضحايا، وإقامة اتصال وثيق مع الجهات الفاعلة في العدالة السورية، لمناقشة ما يعَدّ أخطر الجرائم [62]. وبسبب هذا التفاعل مع منظمات المجتمع المدني، تعدّ الآلية الدولية المستقلة والمحايدة موقعًا مثيرًا للاهتمام لرسم خرائط لكيفية تفاعل سرديات العدالة المختلفة، وتشكيل خيال العدالة.

تسعى قيادة الآلية الدولية المستقلة والمحايدة نفسها إلى إبراز الجرائم التي أُهملت تاريخيًا والتي لم تُوثَق بشكل كافٍ، مثل العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي (الجندر) والعنف ضد الأطفال [63]. وتتصدر سرديتاها تجارب ووجهات نظر النساء كضحايا، وناجيات، وشهود على الصراع [64]. إلى

(59) - مقابلة شخصية، نهى أبو الدهب، باحثة في قضايا العدالة الانتقالية، مركز بروكنغز الدوحة، 22 أيار/ مايو 2020؛ مقابلة شخصية مع فراس فياض، صانع أفلام ومدعي في محاكمة الخطيب، 13 تموز/ يوليو 2020.

(60) - مقابلة شخصية مع حبيب نصار، مدير السياسات والبحوث، منظمة Impunity Watch، 20 نيسان/ أبريل 2020؛ فيليبس، الهامش 56.

(61) - Elliott, supra n 49.

(62) - لا تثق بعض المنظمات الضحايا في الآلية الدولية المحايدة والمستقلة، حيث ينتقدون مساعدة الأمم المتحدة للمساعدات الإنسانية التي يتلاعب بها النظام السوري ويحولها. توبياس شنايدر، «الأسد والنظام ومنطق الحرب» (Seminar Evangelische Akademie Loccum, 16 June 2020).

(63) - تقارير الآلية الدولية المحايدة والمستقلة للمساعدة في التحقيق ومقاضاة الأشخاص المسؤولين عن أخطر الجرائم المرتكبة في الجمهورية العربية السورية بموجب القانون الدولي منذ آذار/ مارس 2011، 73/295 / A، 73/741 / A، أ / 74/313 ، 74/699 / A.

(64) - Michelle Jarvis, comment in interview on Atlas, 9 March 2020, https://bit.ly/3HMGPnJ (accessed 16 April 2020).

جانب مؤسسات أخرى، مثل لجنة التحقيق، فهي تشدد على أهمية اعتبار العنف الجنسي والجنساني، ضد النساء والرجال، جزءًا لا يتجزأ من التحقيق في جرائم الحرب ومقاضاة مرتكبيها [65]. يمكن فهم ذلك على أنه محاولة لمواجهة الإجراءات الجنائية السائدة التي تتجاهل العنف الجنسي والجنساني، كجزء من هجوم منهجي وواسع النطاق على المدنيين. على ضوء هذه الخلفية، في حزيران/ يونيو 2020، قدّم سبعة ناجين من العنف الجنسي والجنساني، بالتعاون مع المركز الأوروبي للحقوق الدستورية وحقوق الإنسان ومنظمات المجتمع المدني السورية، شكوى جنائية إلى المدعي العام الاتحادي الألماني، يطالبون بمقاضاة العنف الجنسي والجنساني في مراكز الاحتجاز، باعتباره جريمة ضد الإنسانية [66]. ولكن الجهات الفاعلة السورية والدولية في مجال العدالة عمومًا لم تُولِ أولوية كافية للعنف الجنسي والجنساني، وأدّى ذلك إلى إغفالات عدة. في القسم التالي، نركز على ديناميكيات الإغفال التي تحدث ضمن مبادرتين رسميتين للعدالة، باستخدام المنظور المفاهيمي التي تم تطويره أعلاه.

(65) - لجنة التحقيق المستقلة التابعة للأمم المتحدة بشأن الجمهورية العربية السورية، "لقد فقدت كرامتي: العنف الجنسي والجنساني في الجمهورية العربية السورية"، 8 ، CRP.3 / 37 / HRC / A آذار/ مارس 2018 ، https://bit.ly/2M10khI (تم الوصول إليها في 20 نيسان/ أبريل 2020).

(66) - Deutsche Welle, 'Can Syrian Sexual Violence Survivors Get Justice in Germany?' 19 June 2020, https://bit.ly/3A0iTf2 (accessed 20 June 2020).

ما يُحذَف من سرديات العدالة

في القسم السابق، حددنا الخطوط العريضة والخصائص لمبادرتين من مبادرات العدالة الرسمية البارزة. ونناقش في هذا القسم نوعين من المحو والإخفاء (المحو الخبيث من قبل النظام السوري، والمحو غير المقصود من قبل الجهات الفاعلة في العدالة في بنية العدالة الرسمية)، بغية إلقاء الضوء على كيفية عمل الإغفالات في السياقات المؤسسية ذات القيود المتأصلة.

المحو الذي يقوم به النظام السوري: احتكار سردية العنف

يعدّ التعذيب من أكثر الجرائم التي يرتكبها النظام السوري شيوعًا، وغالبًا ما يكون ذلك في سياق الإخفاء القسري في أماكن الاحتجاز غير القانونية [67]. إن الاحتجاز والتعذيب هما عنصران محوريان في السياسة السورية، إلى جانب انتهاكات أخرى للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي، لم تتناولها عمليات العدالة الرسمية، مثل الهجمات العشوائية على البنية التحتية المدنية، والنقل القسري للمدنيين وعمليات الحصار.

بالإضافة إلى بعض التحيزات في النظام الجنائي الدولي [68]، فإن التفسير المهمّ لسبب عدم تحوّل جرائم معيّنة إلى آليات رسمية هو التهديد بالعنف الأعمى. في هذا السياق، فإن التهديد بالسجن كمساحة للتراجع/ التخلي عن الموضوع/ الذات/ هو الفاعل السياسي المهم [69]. في حين أن هذا العنف يشكل ظلمًا واضحًا في حد ذاته، فإنه يُسهم أيضًا في الظلم الثانوي المتمثل في محو أصوات الضحايا من السرديات السائدة. هذا الصمت المفروض يعني أن العنف التاريخي مثل مذبحة حماة عام 1982 لم يظهر بشكل واضح في معظم سرديات العدالة السورية، مع أن ذكريات تلك الجرائم قد أسهمت في تشكيل هذه السرديات بدرجة عالية.

في هذا السياق، يجب قراءة صمت السوريين عن العنف السابق على أنه وسيلة للتنقل في بيئتهم السياسية [70]. وإلى اليوم، يواجه الفاعلون والمعارضون في مجال العدالة تصميم النظام على اللجوء إلى كل شكل من أشكال العنف بؤسًا لسحق النزاع، وإجبار غالبية مجتمع العدالة هذا على مغادرة البلاد ومواصلة أنشطته في الشتات. وإضافة إلى ذلك، قام النظام بتشكيل السردية المهيمنة من خلال منظور طائفي، مصوّرًا الجماعات المعارضة على أنها جهادية [71]. وقد لاقى هذا التفسير الطائفي للصراع صدًى على

(67) - Kaleck and Kroker, supra n 51.

(68) - See, for example, Evelyne Schmid, Taking Economic, Social and Cultural Rights Seriously in International Criminal Law (Cambridge: Cambridge University Press, 2015).

(69) - Ismail, supra n 37 at 194.

(70) - Wendy Pearlman, 'Narratives of Fear in Syria,' American Political Science Association 14(1) (2016), 21–37 https://bit.ly/3QHysOE

(71) - Sam Dagher, Assad or We Burn the Country: How One Family's Lust for Power Destroyed Syria (New York: Little,

المستوى الدولي، بسبب ظهور تنظيم (داعش) [72].

لا تزال جهود النظام في المحو مستمرة. وقد أدت استراتيجيته المتعمدة لتعكير المياه إلى نشوء وضع لا يقوم فيه الرأي العام ولا وسائل الإعلام ولا الفاعلون السياسيون بأي محاولة لفهم ديناميات الصراع. وتعد مساعدة الأمم المتحدة في الترحيل القسري للسكان المدنيين من المدن التي استعادها النظام عنوة، مثل حمص في 2014، مثالًا على ذلك [73]. أعطت هذه المساعدة مظهرًا خادعًا للشرعية لسياسة النظام في إعادة الهندسة الديموغرافية، وأسهمت في إغفال هذه الجريمة عن نقاش العدالة. وإضافة إلى ذلك، فإن إستراتيجية النظام بسعيه لتصوير المتظاهرين على أنهم متطرفون جهاديون، لتبرير عنفه بوصفه مكافحة الإرهاب، هي أيضًا جزء من هذه المحاولات لمحو تجارب الضحايا [74]. وينطبق الشيء نفسه على نشر روسيا للمعلومات المضللة عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي.

نسمّي هذه الإجراءات والإستراتيجيات عملياتِ محوٍ وإزالة. في هذه الحالة، يكون المحو جزءًا متعمدًا من -محاولات التستر- سياسة عنيفة. في حين أن هذه الإستراتيجية هي شكل واضح وفاضح للمحو، فإننا نصرّ على أن هناك أشكال محو أكثر دقة قد تحدث أيضًا، عندما يختار الفاعلون في مجال العدالة استبعاد قضايا معينة من النقاش حول العدالة. قد يحدث هذا لأسباب حسنة النية (مثل عبء القضايا أو البراغماتية) ولكن قد يكون له تأثيرات مماثلة، من حيث محو الحقائق المعيشية للضحايا وتطلعاتهم.

المحو (غير المقصود) من قبل ممثلي العدالة: نتائج غير متوقعة

في هذه الدراسة، نهتم بشكل خاص بكل ما لم يلق طريقًا إلى سرديات العدالة. إن الأشكال غير الواضحة من المحو (وهي عرضية في كثير من الأحيان) لا تقلّ أهميّة عن أخواتها، ومن الجدير الاعتراف بوجودها وفحصها. وتشكل أشكال المحو هذه أيضًا القضايا التي تدخل في سردية العدالة، ومن هو الجاني أو الضحية، ومن يمكنه السعي إلى المساءلة والتعويضات، ولأيّ سبب؟ بمعنى أكثر عمومية، إنهم يشكلون طريقة تفكيرنا في العدالة. ولا شكّ لدينا في أن تلك العناصر تُحذف من خطاب العدالة السائد وسرديات العدالة الملموسة. وهناك نوع من الإغفال لا بد من ذكره في أي سياقٍ يتم فيه التعامل مع كثير من الظواهر [75]. ونجادل بأن الإغفالات في السياق السوري تميز كثيرًا من عمليات العدالة الدولية. وكما يوضح **شميد Schmid**، على سبيل المثال، حول الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فإن بعض حالات الإغفال شائعة جدًا

Brown and Company, 2019), 283.

(72) - See also Adam Bazcko, Dorronsoro Gilles and Arthur Quesnay, Civil War in Syria, Mobilization and Competing Social Orders (Cambridge: Cambridge University Press, 2018).

(73) - مقابلة شخصية مع إبراهيم العلبي، مدير البرنامج السوري للمساعدة القانونية والتنمية والمحامي البريطاني في غرنيكا 37، 27 نيسان/أبريل 2020. أخضع النظام المدنيين، في مدن مثل حمص وداريا ومضايا وشرق حلب، للحصار والقصف، وصوّر عمليات ترحيلهم القسري على أنها عمليات «إخلاء».

(74) - Mason Richey, 'Contemporary Russian Revisionism: Understanding the Kremlin's Hybrid Warfare and the Strategic and Tactical Deployment of Disinformation,' Asia Europe Journal 16(1) (2018): 101–113.

(75) - Herzog, supra n 22.

في عمليات العدالة الجنائية الدولية، وعلى الرغم من أنها تستند إلى الأسطورة بدلًا من القيود الهيكلية أو المؤسسية الفعلية، فإنها تستعد ليُعاد إنتاجها بطرق تقدّم سرديات جزئية عن المظالم [76]. في حين أن هذه مشكلة منتشرة على نطاق واسع، فإننا نرى سورية كحالة رمزية لعمليات محو غير مقصودة، بسبب عودة ظهور البراغماتية بشكل عام في مجال جهود العدالة الدولية [77]. في هذا القسم وفي القسم الذي يليه، نسعى لفصل حالات المحو النشط عن حالات الإخفاء، لإبراز أن العمليات إحداها تشكّل الأخرى، وأن هناك إرادةً ومساحة للمقاومة.

من حيث المحو من قبل الفاعلين في العدالة المنخرطين في جهود العدالة الرسمية، يمكن ملاحظة أن جزءًا بسيطًا فقط من تجارب الأذى يدخل في سرديات العدالة هذه. فالمحاكمات في ظل الولاية القضائية العالمية، على سبيل المثال، هي الوحيدة التي تناولت الجرائم الفظيعة التي ارتكبها النظام. تظل هذه الإجراءات عرضية ولا تمثل القضايا النطاق الكامل لهذه الجرائم، ويرجع ذلك جزئيًا إلى حقائق التحقيق والادعاء. وهذا يعني أن هذه العمليات الضرورية، التي تمنح الأمل، لا تولي الاهتمام بغير الجرائم الأكثر شهرة، مثل التعذيب والإخفاء القسري. استثمرت الجهات الفاعلة في مجال العدالة كثيرًا في توثيق هذه الجرائم، وهناك قاعدة أدلة أقوى لمقاضاتها. فضلًا عن ذلك، تنص اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب على إمكانية وجود ولاية قضائية خارج الإقليم بخصوص هذه الجرائم، لأن حظر التعذيب هو قاعدة نافذة في القانون الدولي. على هذا النحو، يمكن فهم الخيار الأولي للجهات الفاعلة في العدالة في إبراز التعذيب لأسباب استراتيجية. ولهذا التركيز ما يبرره، إلا أنه يهدد بإلقاء ظلاله على أنواع أخرى من الجرائم.

لم تقدَّم القضايا المتعلقة باستخدام الأسلحة الكيميائية، على سبيل المثال، في البداية بموجب القانون العام، بسبب الافتقار إلى الرغبة والأدوات القانونية لملاحقة هذه الجرائم [78]. بالنظر إلى الوظيفة التعبيرية لعمليات العدالة، إذا لم تعطِ الجهات الفاعلة المؤسسية الأولوية لهذه الجرائم، فإنها تخاطر بالاختفاء من النقاش حول العدالة [79]. وبالتالي، فإن استراتيجية المقاضاة العملية وحسابات الجدوى من قبل الجهات الفاعلة المؤسسية يمكن أن ترقى إلى مستوى العدالة الانتقائية التي تخاطر بمحو حقائق عدد كبير من الضحايا، فضلًا عن إفلات بعض الجناة من العقاب [80]. وإضافة إلى ذلك، أشار كثير من الأشخاص الذين قابلناهم إلى أن هذا الإغفال يمكن أن يعرض الضحايا لإيذاء ثانوي، لأن احتياجات الضحايا للعدالة لا يُعترَف بها ولا تعالَج بشكل كافٍ، وهو ما يعوق الاعتراف والجبر والتعويض [81].

(76) - Schmid, supra n 68.

(77) - Brett Edwards and Mattia Cacciatori, 'The Politics of International Chemical Weapon Justice: The Case of Syria, 2011–2017,' Contemporary Security Policy 39(2) (2018): 280–297.

(78) - في تشرين الأول/ أكتوبر 2020، قدمت مجموعة من المنظمات غير الحكومية شكوى جنائية، نيابة عن ضحايا هجمات الأسلحة الكيميائية، إلى المدعي العام الاتحادي الألماني. وفي آذار/ مارس 2021، قدمت ثلاث منظمات غير حكومية شكوى جنائية في فرنسا ضدّ نظام الأسد، بخصوص الهجمات الكيميائية التي وقعت في آب/ أغسطس 2013.

(79) - Stahn, supra n 1.

(80) - Phillips supra n 56.

(81) - مقابلة شخصية، حبيب نصار، الهامش رقم 60؛ مقابلة شخصية مع يوسف وهبة، المدير القانوني للبرنامج السوري للمساعدة القانونية

في محاولة لمزيد من المساءلة، أرسلت هولندا في أيلول/ سبتمبر 2020 مذكرة دبلوماسية إلى النظام السوري، تستند إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب، حمّلته فيها المسؤولية عن انتهاكات القانون الدولي [82]. وبذلك، فتحت الطريق أمام رفع قضية أمام محكمة العدل الدولية. يمكن أن تضع هذه المبادرة قضية الإخفاء القسري والاحتجاز على رأس جدول الأعمال [83].

وهذا الأمر مهم، فعلى الرغم من العمل الدؤوب للجهات الفاعلة في مجال العدالة، فإن ظهور الضحايا في عمليات العدالة يقتصر في الغالب على المحاكمات، في إطار الولاية القضائية العالمية والمشاورات بين الآلية الدولية المحايدة والمستقلة ومنظمات المجتمع المدني السورية. في حين أنهم في كثير من الحالات قد حضّوا بالفعل على إجراءات العدالة، إلا أن فاعليتهم لم يُعترف بها بشكل كافٍ منذ فترة طويلة، وهو ما همّش وجهات نظرهم في سرديات العدالة الأوسع [84]. وتجارب النساء، كضحايا وشاهدات وناشطات، أيضًا كانت غائبة تقريبًا عن سرديات العدالة لمدة طويلة. هذه السرديات، كما لاحظ كثير من الذين قابلناهم، قد هيمنت عليها أصوات الرجال. في المواد التي تتلقاها الآلية الدولية المحايدة والمستقلة، على سبيل المثال، يمكن تمييز التحيز الجنساني (الجندري)، الذي يشير إلى أن المحو يحدث أيضًا من جانب منظمات المجتمع المدني [85].

بالإضافة إلى محو القضايا أو الجهات الفاعلة، يمكننا أيضًا ملاحظة محو سرديات معينة من عمليات العدالة الرسمية. يمكن أن تواجه تلك السرديات، على سبيل المثال، صعوبة في استيعاب المشاعر أو التأثيرات أو القصص التي يتم سردها من تجارب متعددة الطبقات للضحايا [86]. أيضًا، تميل المفاهيم الدينية للعدالة إلى محوها من العمليات الرسمية، حتى لو أشار كثير من الضحايا السوريين إلى الدين كنقطة انطلاق للتفكير في العدالة والتعامل مع الخسارة والغضب ومشاعر الانتقام. ومع ذلك، في إطار العمليات الرسمية، غالبًا ما لا يتم التفكير في وجهات النظر هذه حول العدالة الإلهية، حيث قد يرى أصحاب المصلحة الغربيون مواقفَ معينة بخصوص العقوبة مواقفَ بربرية [87].

والتنمية، 24 نيسان/ أبريل 2020؛ مقابلة شخصية مع أحمد حلمي، مؤسس جماعة الضحايا "تعافي"، 6 تشرين الأول/ أكتوبر 2020.

(82) - Stephanie Van Den Bergh and Janet Anderson, 'Why the Dutch are Threatening to Take yria to Court,' Justice Info, 22 September 2020, https://www.justiceinfo.net/en/other/45453-why-the-dutch-are-threatening-to-take-syria-to-court.html (accessed 23 September 2020). In March 2021 Canada filed a similar request, to hold negotiations to resolve the dispute with Syria's violations under the Convention Against Torture.

(83) - Toby Cadman, comment during 'Seminar on the Dutch Initiative,' SLPD, 24 September 2020.

(84) - Helmi, supra n 81; Nassar supra n 60.

(85) - Jarvis, supra n 64.

(86) - Marie-Bénédicte Dembour and Emily Haslam, 'Silencing Hearings? Victim-Witnesses at War Crimes Trials,' European Journal of International Law 15(1) (2004): 151–177; Kotecha, supra n 1.

(87) - Olabi, supra n 73.

حقائق غير مرئية

ناقشنا آنفًا طريقتين مختلفتين للغاية، يمكن من خلالهما أن تؤدي اختيارات الجهات الفاعلة إلى محو بعض القضايا أو الجهات الفاعلة أو الأشكال السردية من سرديات العدالة السائدة. غالبًا ما تكون هذه الاختيارات محاولات عملية للتنقل في سياقٍ يخضع لقيود وتحيزات بنيوية. يمكن فهم بعض حالات المحو، على هذا النحو، على أنها ردة فعل إستراتيجية لتوقع أن تكون هناك نقطة عمياء أو عدم اهتمام أو معارضة لموضوعات معينة على المستوى المؤسسي أو المجتمعي. نحن نستخدم مصطلح الإخفاء (انظر أعلاه) للإشارة إلى هذه الديناميكيات السياقية والبنيوية التي تؤدي إلى حالات الغياب.

تتمثل إحدى الطرق التي يتجلى فيها الإخفاء في الحالة السورية في الغياب الملحوظ لحقوق السكن والأرض والممتلكات من آليات العدالة الرسمية، وإن كان هذا يؤثر على ملايين الأشخاص [88]. إننا نعدّ ذلك مسألة إخفاء، لأنه يتبع الاعتقاد الراسخ -أو حتى الأسطورة المستمرة- في مجال العدالة الجنائية الدولية، بأن الجرائم المتعلقة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لا يمكن رفع دعاوى بخصوصها بسهولة [89]. ومع ذلك، كما أوضحت المنظمات غير الحكومية، يجب إظهار السكن والأرض والممتلكات، من أجل تحقيق عمليات عدالة ذات مغزى [90].

إضافة إلى ذلك، هناك بعض الانتهاكات الجسيمة لحقوق السكن والأرض والممتلكات والحقوق المدنية والسياسية لا يتم تناولها في الإجراءات الرسمية. أبرزنا أعلاه أن الاستراتيجيات النشطة للنظام وكذلك حسابات الجهات الفاعلة في مجال العدالة تفسّر جزءًا من هذا الإغفال. وهنا، نؤكد أن دراسة هذا الإغفال، على أنه مسألة إخفاء، ممكنة عندما يُعدّ أحد آثار المأزق على المستوى الدولي. أسهم القلق بخصوص (داعش)، مع اللامبالاة المتزايدة بصدد الصراع في الرأي العام السائد في شمال الكرة الأرضية، في إخفاء القضايا ومجموعات الضحايا. على ضوء هذه الخلفية، أعطى بعض الفاعلين المذكورين الأولوية لقضايا معينة.

غالبًا ما، يتداخل إخفاء القضايا مع إخفاء الفاعلين أو الجماعات عن السرديات المهيمنة. في الحالة السورية، على سبيل المثال، هناك تصور بين بعض مجموعات الضحايا، مثل الأكراد، بأن هناك تسلسلًا هرميًا للضحايا، وأن أصواتهم لا تنعكس بشكل كافٍ في النقاش حول العدالة [91]. يمكن مناقشة الأمر

(88) - منذ عام 2011، أصدرت الحكومة قوانين قوضت الوضع القانوني للسكان النازحين، ومنعت كثيرين من المطالبة بحق ملكية الأرض التي كانت لهم.

(89) - Schmid, supra n 68.

(90) - PAX and Impunity Watch, 'Violations of Housing, Land and Property Rights: An Obstacle to Peace in Syria,' 10 March 2020, https://www.paxforpeace.nl/publications/all-publications/violations-of-housing-land-and-property-rights-an-obstacle-to-peace-in-syria (accessed 4 March 2021).

(91) - يشير بسام الأحمد، مدير سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، إلى أن كثيرًا من الفاعلين في المجتمع المدني يطالبون بالعدالة لجميع

نفسه حول العنف الجنسي والجنساني (الجندري)، الذي تطرّق إليه عدد محدود من المستجيبين لدينا. تصبح درجة معاناة العديد من الضحايا أقلّ أهمية من غيرها، حين يُنظر إليها على أنها ناتجة عن إشكالية سياسية أو غامضة [92].

السوريين، لكنهم في الواقع يركزون بشكل حصري تقريبًا على العنف الذي يرتكبه النظام. مقابلة شخصية، 27 أيار/ مايو 2020.

(92) - Miller, supra n 6.

مقاومة المحو والإخفاء: دور الممارسات الفنية

ركّزنا في البدايات على جوهر وديناميكيات المحو والإخفاء الذي تسبب فيه النظام السوري، وعليها ضمن سرديات العمليات الرسمية، ولكن القصة لمّا تنتهِ بعد. فالحالة السورية ليست مجرد نموذج عن كيفية تأدية أنواع مختلفة من المحو والإخفاء إلى سرديات عدالة مبتذلة وخيال عدالة مقيّد؛ إنها أيضًا نموذج مثالي لكيفية سعي بعض الجهات الفاعلة في العدالة لمواجهة هذه الإغفالات، فهي تظهر أن الخلاف يحدث حتى في مواجهة المحو المتفشي والإخفاء. ويمكن أن تكون المبادرات البديلة نقطة انطلاق لتصور السرديات المضادة التي تقاوم المحو والإخفاء وتفتح خيال العدالة، من خلال اقتراح طرق جديدة للتفكير في العدالة.

إن معظم جهود العدالة التي تتناول أولويات الناجين من التعذيب وعائلات المختفين وعائلات المحتجزين تتم في أماكن غير رسمية، معظمها خارج سورية، حيث إن مساحة الاحتجاج والتعبير عن الحقائق المعيشية للضحايا داخل سورية تكاد تكون غير موجودة. يُعدّ نشاط الضحايا ظاهرة جديدة نسبيًا، لكنه يتوسع بسرعة في السياق السوري. وتصرّ مجموعات الضحايا على المشاركة كصانعة تغيير في العمليات الرسمية [93]. نجادل بأن لدى هذه المبادرات القدرة على مواجهة حالات معينة من الإخفاء والمحو الموضحة آنفًا، وعلى فتح خيال العدالة، لكونها متجذرة في الحقائق المعيشية للضحايا وأقلّ تقييدًا بالمتطلبات الشكلية للطرق القضائية [94].

على سبيل المثال، يُصرّ الفاعلون في المجتمع المدني على أن السعي لتحقيق العدالة هو أمرٌ أكثر من المساءلة الجنائية واستكشاف إمكانات الممارسات الفنية لمقاومة الإغفال [95]. ردًّا على العنف المستمر وعلى النقص النسبي في الاهتمام به، في معظم آليات العدالة الرسمية، وضّح كثيرٌ من الفنانين السوريين -معظمهم في الشتات- المظالم التي يرون ضرورة في أن تبقى تحت الرادار. هذه الممارسات هي مواقع للإنتاج السردي، بقدر ما هي عمليات رسمية، حيث يمكن تصوّر سرديات العدالة التي تردد تجارب الضحية، وتستدعي فحصًا أعمق.

إن الاعتماد على الممارسات الفنية، كجزء من جهود العدالة، متجذرٌ جزئيًا في الجمود في آليات العدالة الرسمية، ويمكن إرجاع ذلك إلى التجارب طويلة الأمد للناشطين السوريين والفنانين الناقدين اللغة الرمزية لتحدّي قمع الدولة للمنافسة [96]. وقد مكّنت انتفاضة 2011 من بلوغ ذلك، من خلال فتح مساحات

(93) - Ahmad Helmi, supra n 81.

(94) - Lee Anne Bell and Dipti Desai, supra n 33.

(95) - مقابلة شخصية مع فضل عبد الغني، مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 31 أيار/ مايو 2020.

(96) - Charlotte Bank, The Contemporary Art Scene in Syria: Social Critique and an ArtisticMovement (London: Routledge, 2020), 101; miriam cooke, Dancing in Damascus: Creativity, Resilience, and the Syrian Revolution (New York: Routledge, 2016), 31.

جديدة للتعبيرات المرئية والسردية [97]. يستكشف الفنانون السوريون والجهات الفاعلة في مجال العدالة أن هذه الممارسات، وما يحدث من خلالها، يمكن أن تكون ذات صلة في تحدي الإغفالات التي تحدث في سبل العدالة الرسمية ومواجهة الحرب السردية.

من خلال المعارك العدائية/ التصارعية، وممارسات مكافحة الهيمنة والفن النقدي، تنخرط هذه الجهات الفاعلة في العدالة بطرقٍ تحدد سعيها وراء المجال القانوني الضيق، وتوضح ما يميل الإجماع إلى طمسه وإخفائه [98]، ويوفر هذا الأمرُ دورًا أكبر للجهات الفاعلة على مستوى القاعدة [99]. حيث إن المعارك العدائية تسمح، على سبيل المثال، بصياغة مطالب العدالة بطرق غير خطية/ غير مستقيمة، لا يمكن استيعابها بسهولة في السرديات المحيطة بالعمليات الرسمية، أو بظهور سرديات متعددة الأصوات تعكس تعقيد تجارب الضحايا [100]. ومما له أهمية خاصة في السياق السوري قدرةُ التعبيرات الفنية على التواصل عبر الاستعارات والرموز الأخرى التي تحمل معاني متعددة [101].

ليست غاية هذا الأمر إخفاءَ الطبيعة النخبوية المحتملة لبعض أشكال التعبير الفني، إنما هي إلقاء الضوء على إمكانية أن تكون بعضُ ديناميكيات عملية الإنتاج، مثل اللاخطية [عدم تناسب المخرجات مع المدخلات] أو التنافس أو الحضور، ذاتَ صلةٍ أيضًا بأنواع أخرى من نشاط العدالة. في الواقع، إن نشاط العدالة في المجال الفني ليس مجرد طريق للوصول إلى الفاعلين في المجال القضائي، بل هو أيضًا وسيلة لمعالجة انتهاكات الحقوق خارج هذا المجال، أي من خلال الشهادة وإحياء الذكرى وقول الحقيقة. يمكن أن تقدّم الأصوات من الأسفل، في سياقٍ يصعب العثور فيه على مساحات يمكن للضحايا المشاركة فيها، حيث تكافح هذه المساحات لاستيعاب أصوات أو مواضيع أو موجزات معينة. هذه المبادرات هي عنصر حاسم في السعي لتحقيق العدالة، من حيث إعادة تصور دور فعال للضحايا، وإظهار احتياجاتهم الملموسة [102].

ركزت الاستجابة الفنية للصراع كثيرًا على تجارب الأذى والحاجة إلى الاعتراف بحالة الضحية، حيث أيّد كثيرٌ من الفنانين الذين يتعاطفون مع حركة الاحتجاج هدفَ الجهات القضائية المتمثل في التغلب على إخفاء الضحايا. وأصبحت الشهادة على محنة من لا صوت لهم سمةً بارزةً للفنون السورية الحديثة، حيث تناول كثير من الفنانين بشكل صريح المظالم، وانخرطوا في البحث عن الحقيقة، ومن ثمّ أسسوا ذاكرة

(97) - Malu Halasa, Zaher Omareen and Nawara Mahfoud, Syria Speaks: Art and Culture fromthe Frontline (London: Saqi Books, 2014).

(98) - Chantal Mouffe, Art and Democracy: Art as an Agonistic Intervention in Public Space, 2007, https://www.onlineopen.org/art-and-democracy (accessed 5 June 2020).

(99) - Ray Nickson and John Braithwaite, 'Deeper, Broader, Longer Transitional Justice,' European Journal of Criminology 11(4) (2014): 445–463.

(100) - Carlos Luis André Thiebaut, 'Literature and Experiences of Harm,' in TransitionalJustice, Culture and Society Beyond Outreach, ed. Clara Ramirez-Barat (New York: SSRC, 2014) , 541.

(101) - Cohen, supra n 30.

(102) - Nassar, supra n 60.

سردية توفر مساحة للتفكير في الأحداث المعاصرة المعقّدة [103]. لبلوغ هدف هذه الدراسة، نحن مهتمون بقدرات التعبيرات الفنية على تعزيز الحقائق المعقدة أو المتنازع عليها، وعلى ملء الفراغات التي تُركت من دون معالجة في نقاش العدالة الأوسع، واستحضار مساحات جديدة من الخلاف.

أعلن الفنان **خالد بركة**، صراحةً، أنه جزء من حركة العدالة المستلهمة من الناجين من نظام الأسد، ودشّن العمل الفني (صمت) خارج محكمة كوبلنز، مكان محاكمة الخطيب (الشكل 1)، ويصوّر التركيب (49) شخصية يرتدون ملابس المتظاهرين السوريين. ويرى الفنان **بركة** أن العملَ الفنيّ وسيلة لمواجهة الجناة، بإظهار الأصوات التي حاولوا كتمها، وجعل إجراءات المحكمة مرئية للناس العاديين. كان يتطلع إلى خلق مساحة للضحايا وعائلاتهم لسرد قصصهم بعيدًا عن قيود قاعة المحكمة [104].

"صمت": عمل فني لخالد بركة خارج محكمة كوبلنز.

(103) - Roger Bromley, '"Giving Memory a Future": Women, Writing, Revolution,' Journal for Cultural Research 19(2) (2015): 221–232.

(104) - مقابلة شخصية مع الفنان خالد بركة، 7 تموز/ يوليو 2020.

الخاتمة

ركّزت هذه الدراسة على عمليات محو السرديات والمبادرات المتعلقة بالعدالة السائدة وإخفائها، وإزالتها من خيال العدالة، وهو الأمر الذي نعتقد أن تحقيقه ممكن من خلال أنواع مختلفة من عمليات العدالة. بالتركيز على سرديات العدالة؛ قمنا بتحليل تأطير ونقل وإضفاء الطابع المؤسسي على بعض القيم والأفكار حول العدالة. يعدّ التدقيق في سرديات العدالة هذه وفتحها أمرًا بالغ الأهمية للبدء في تسليط الضوء على حالات الغياب ووجود الحقائق الحية للظلم. يوفّر تحليل القضايا التي تم محوها وإخفاؤها من سرديات العدالة أيضًا وتحديد الجهات الفاعلة نقطةَ انطلاق للتفكير في سرديات العدالة البديلة والمتكاملة التي يمكن أن تتفاعل مع سرديات العدالة السائدة في عمليات العدالة الرسمية، أو توجد بالتوازي معها. تحمل هذه السرديات وعدًا بلفت الانتباه إلى الظلم المستمر وإلى سبل الإفلات من العقاب، ومواجهة الانهزامية.

على هذا النحو، ندّعي أن الفهم الأفضل لديناميكيات المحو والإخفاء يمكن أن يوسّع نطاق خيال العدالة. وهذا يعني الابتعاد عن قصر تعريف العدالة على ما يتعلق بالآليات القضائية القائمة، والاتجاه نحو تعريف يعكس طرقًا أكثر فاعلية لتحقيق العدالة، لضمان عدم إخفاء تجارب الضحايا. إننا لا نسعى لتقديم إجابات محددة، بل لإثارة محادثة مع الباحثين والممارسين في مراكز النقاش وأطرافه، لتعزيز دور العدالة وتحريكها، وإعادة تخيل سرديات العدالة التي تكون أكثر شمولًا ودقة وتمثيلًا؛ بكلمات أخرى: تعزيز دور السرديات التي تتجنب الإغفال المنهجي للقضايا والجهات الفاعلة التي تجد نفسها على الهامش؛ والتي تصف بدقة القضايا التي تكمن في جذور الظلم والعنف؛ والتي تصف تعقيدات وغموض الحقائق المعيشية للفئات المهمشة. أشرنا إلى أن جهود العدالة والممارسات الفنية يمكن أن تلعب دورًا في ذلك، وندعو لمزيد من البحث في مسألة كيفية حدوث ذلك. إن عدم الانخراط في هذه الممارسة لا يعني أن إمكانية العدالة تخاطر بأن تظل غير محققة، ولكن يمكن أن تؤدي في الواقع إلى إدامة معاناة الضحايا، من خلال عمليات المحو أو إخفاء التجارب والمظالم الأكثر أهمية بالنسبة إليهم.

مركز حرمون للدراسات المعاصرة

هو مؤسّسة بحثية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والمجتمعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري خاصة، والصراع الدائر في سورية وسيناريوهات تطوره، وتهتم بتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي. كما تهتم أيضًا بالقضايا العربية، والصراعات المتعلقة بها، وبالعلاقات العربية الإقليمية والدولية.

يُنفذ المركز مشاريع ونشاطات، ويُطلق مبادرات من أجل بناء مستقبل سورية، على أسس وقيم الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان وقيم المواطنة المتساوية، ويسعى لأن يكون ميدانًا للحوار البنّاء، وساحة لتلاقي الأفكار.

- أبحاث سياسية
- أبحاث اجتماعية
- أبحاث اقتصادية
- أبحاث قانونية
- ترجمات

مركز حرمون للدراسات المعاصرة

Harmoon Center for Contemporary Studies

Harmoon ArŞtırmalar Merkezi

Doha, Qatar: **Tel. (+974) 44 885 996** **PO.Box: 22663**

Istanbul, Turkey: **Tel. +90 (212) 813 32 17** **PO.Box: 34055**
Tel. +90 (212) 542 04 05

www.harmoon.org